فاتح المجاهل

دراما في أربعة فصول

شخصيات الرواية

جورج وشنطن	هانكلج (زعيم هندي)
روبرت دنودي (حاكم فرجينيا)	جوان كاريه (ضابط فرنسي)
فان براام	« الملكة » أليكريا الهندية
كرستوفر جست	حرس — فرانسيون
سان بيير (حاكم القلعة الفرنسية)	

يلقب جورج وشنطن من جدارة بأبي الشعب الامريكي ، فقد كان القائد الاعلى لجيش الاستقلال والرئيس الاول للجمهورية الامريكية . وكثيراً ما عرضت سيرته اللامعة مثلا بطولة الحرية . وفي عيد الاستقلال الامريكي تقام الحفلات تكريماً له وتكريماً لمثل الاستقلال ، وتعرض في المشاد صور من مواقفه الحربية الخالدة الذكر على اختلاف الظروف ، أو صور تمثل نزاهته وبعد نظره وحنكته وتفانيه في سبيل المصلحة العامة .

وفي هذه الرواية صورة غير معروفة لدى كثيرين من روح المغامرة التي امتاز بها هذا القائد العظيم النفس ، وعرض لصفات الفطرية الباهرة والسجايا الخلقية النبيلة التي جبل عليها ، والتي أهلته وساقته في النهاية لزعامة أمته ، وجعلت منه مضرب المثل لامم شتى تنشد التوجيه الصادق والحرية والاستقلال .

الفصل الأول

يقع هذا الفصل في بيت القائد روبرت دنودي حاكم مستعمرة فرجينيا بمدينة وليمزبرج صباح اليوم الاول من اكتوبر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعد الالف للميلاد حيث حضر الميعاد للشاب جورج وشنطن ليتأهب للسفر مع بعثته في أول مغامرة استكشافية هامة قام بها لمصلحة بلاده .

دنودي — (يقلب أوراقاً بيده) ها . . . إذن اتفقنا يا ميجور .

وشنطن — سأبذل غاية وسعي كي لا أخيب حسن ظنك بي يا سيدي !

دنودي — إني أعلم أنك تواق لانجاز هذه المهمة .

وشنطن — بل ومتطوع لها ، حتى ولو لم تكلفني يا سيدي .

دنودي ـ هذا ما كنت أنتظره من أخي لورنس وشنطن ، ومن الصديق الحميم وليم فيرفاكس ، ومن أعده نصيدي النجيب .

وشنطن ـ هذا شرف لي يا سيدي .

دنودي ـ لقد بلغت يا ميجور الستين ، ولكن حماستي تنوب عن هاتين . . . ومع أن مدة إقامتي بينكم ناهزت السنتين فحسب ، إلا أن خبرتي الاستعمارية ومعرفتي لطبائع الناس تجعلني أشعر بأن وراء الأكمة ما وراءها .

وشنطن ـ هذا شعوري أيضاً يا سيدي .

دنودي ـ لا أحب أن أكتم عنك يا ميجور أني سألت غيرك من قبل فتهيب المهمة ، وما كان سؤالي غيرك إلا ضناً بك ـ إي نعم ، ضناً بضابطي الأول الذي أحتاج دائماً إلى مشورته ، وإلى وجوده قربي .

وشنطن ـ شكراً لثقتك يا سيدي .

دنودي ـ إن مركزنا لحرج : فلا حامية لدينا ، بل ولا ضباط متقاعدون تمكن الاستعانة بهم لتدريب حامية . وقد أرسلت من قبل وليم ترنت (الذي كان شريكا لبنجامين فرنكلن) لينذر الفرنسيين المتجمعين على أراضينا وليسلم قائدهم تحذيري ، ولكنه في طريقه علم بأن الموقف أشد خطراً مما تصورت ، إذ أن الفرنسيين دحروا المفرز الحر من آل ميامي Miami ، وهم الذين سعوا جاهدين لصداقتنا ، وحاربوا الفرنسيين حينما لا تزال محجمين لأننا لا نملك عليهم وسائل محاربتهم ، فلم يسع ترنت Trent إلا أن يتخلى عن إكمال رحلته ورجع الينا نوآ بالنبأ الخطير .

وشنطن ـ لن أتوانى ـ ذكرت كما قبلا اسعادتكم ـ عن تعرف قوة الفرنسيين ، ومبلغ حصونهم من المنعة ، ومواقعها ، وبجمل استعدادهم ، وروحهم المعنوية ، الى جانب اجتذاب الهنود الى صفنا .

دنودي ـ هؤلاء هم عقدة العقد ، اننا نخاف غدرهم في الوقت الذي نريد صداقتهم ، ونقدم اليهم كل رشوة دون جدوى ، ونتحاشى الثقة بهم حتى حينما يبدون أنهم مطمئنون إلينا . . . ومن أغرب المتناقضات ما لاحظته ولاحظه أيضاً بنجامين فرنكلن Benjamin Franklin عن تضامن ست من قبائلهم المتوحشة وتعاونهم ، حينما تعجز الثنتا عشرة مستعمرة انجليزية عن الاتفاق فيما بينها ، بل هما التحاسد والتنافر ، بينما الهنود

ينظرون إليهم من ناحية وإلى الفرنسيين من ناحية أخرى بعين العجب . . . . وقد كان لي ولاية بنسلفانيا على الأقل أن تشاركنا . . . . أما وقد خاب أملنا في الجميع فلم يبق لنا إلا أن نتحمل العبء كاملاً وحدنا قبل أن تذهب ريحنا من التراخي والاهمال ، وقبل أن يجرفنا جميعاً تيار الصغار والتعصب الأعمى .

وشنطن — إني أومن بكل ما تقول يا سعادة الحاكم ، ولذلك فاني مقدم على مهمتي بخاطر قرير وصدر منشرح ، على الرغم من المشاق والمخاطر التي أقدرها أو أتخيلها . وإني لكذلك أبغض التعصب الأعمى والحرب بين الاديان كيفما كانت ، فنحن هنا نشتاق حرية ، وقد هاجر آباؤنا إلى هذه البلاد فراراً من المظالم ، ونحن هنا أهل زراعة وصيد وتجارة وصناعة ، والتعصب الأعمى لا يتفق وما ننشده من فلاح يا سيدي ، وعلى الأخص حينما يوجد مناقس مهاجم على الأبواب !

دنودي — بارك الله فيك ! هذه هي الروح التي أحبها ، والتي يسعرني أنك تشربتها وإني مسرور يا ميجور وشنطن لقيامك بهذه المغامرة عن طيب خاطر ، فان نجاحك فيها سيفتح لك أبواباً أخرى من النجاح والرقي . لقد ضاعت هيبة بنسلفانيا كزعيمة في مقاومة الفرنسيين ، فعلى مستعمرتنا فرجينيا أن تحل محلها بحسن التصرف ، استعداداً وإقداماً . . . . والآن دعني قبل أن تفارقني يا ميجور وشنطن — دعني أتفرس في القائمة التي أعددتها بأسماء رفقائك ، ولو أني تركت لك الحرية الكاملة في اختيارهم . (يقلب الورق) ها . حسن ! كرستوفر جست — هو بلاريب رفيق ملائم لك . لماذا لم تحضره معك ؟

وشنطن — سيقابلني في الطريق يا سيدي عند ولز كريك Will's Creek ولولا ذلك ما كان ليتوانى عن التشرف بالمثول والاستئذان في السفر . . . . من حظي أن يرافقني ، إذ سبق له أن جال في تلك المنطقة وهو يعرفها بعض المعرفة ، وإذن سيكون بمثابة مرشد لنا ، وعلى الأخص لأننا سنشتري لزاومنا وبنادقنا وخيولنا تباعاً ، وقد اجتهدت في أن أحصر عددنا في سبعة : بينهم تاجران وخادمان كما ترى سعادتك ، وليس معي مكلاً الأعضاء الرئيسيين للبعثة إلى جانب المستر كرستوفر جنست غير فان برام

دنودي — (مقاطعاً ، مدهوشاً) فان برام ؟ أتعني يا ميجور معلم الثقافة ؟ !

وشنطن — هو بعينه يا سيدي !

دنودي — (متعجباً) تلك ! تلك ! تلك ! . اني لأحمد لك ولاءك لمعلمك ولكن ما هأن

هذا الرجل باميجور وشنطن بارتياد الجاهل، وبنقلك رسالتي إلى الحاكم الفرنسي في فورت لي بيف

وشنطن – دعني يا سيدي أؤكد لك أولاً أني لا أعرف المجاملة على حساب الواجب سواء أكان فرديًّا أم خاصاً بمشيرتي !

دنودي – (مقاطعاً) هذا عهدي بك ، وأنت رجل عمل لا رجل سيف فقط ، ولذلك قدرت حسن رغبتك في الاقتصاد في نفقات البعثة .

وشنطن – كل ميزته في نظري يا سيدي حسن الترجمة عن الفرنسية إذا ما احتجنا إليه في مهمتنا الخطيرة !

دنودي – (مدهوشاً) – الترجمة عن الفرنسية ؟ ! إذن الأسلم لك أن تأخذ معك بدله هرتي العجوز ، فهي تعرف من الفرنسية أكثر مما يعرف ها ! ها ! ها ! ثم إنها أقدر منه على نساق الشجر إذا ما فاجأكم الهنود .. ها ! ها ! فان برام مترجم فرنسي . ها ، ها ، ها

وشنطن – لا أنكر يا سيدي أنه هولاندي الأصل ، ولكنه يدّعي البراعة التامة في الفرنسية ، وقد عهدته رجلاً نزيهاً .

دنودي – ها ، ها ، ها ، لك ما تشاء يا ميجور ، وكل رجائي أن لا يصل إليّ تقرير منك تقلب فيه الأوضاع بفضل فرنسية أستاذنا فان برام . . . . ها ، ها ، ها ، صدّقني إن هرتي جوزفين Josephine تعرف من الفرنسية أكثر منه ، . . بل وتجيد النحو والصرف . . . . ها ، ها ، ها ، وتحفظ شعر راسين كما يدل مواهها الرصين . . ها ، ها ، ها ، إياك أن تشاء مني يا ميجور لمراحي فأني أهزك كل الاهزاز .

وشنطن – لست من يجحد ذلك يا سيدي .

دنودي – (متابعاً حديثه) وقد أختلف معك في أشياء كثيرة مستقبلاً ، ولكنني مطمئن إلى أنه لن يختلف اثنان مستقبلاً في أني أحسنت اختيارك لهذه المهمة الخطيرة ، وأني أعطيتك الفرصة لاظهار مواهبك في خدمة قومك . . . وقد نختلف يا ميجور وشنطن مستقبلاً في وجهة النظر الى درجة الخصام .

وشنطن (مقاطعاً) – لا سمح الله يا سيدي .

دنودي – (متابعاً حديثه) هذا طبيعي في الحياة ولن يعاب ما دام الاخلاص شعيمك وشعيمي ، وما دام هدفنا المصلحة العامة ، ولكن حينما يكتب تاريخ قومنا سنذكر الى جانب نبوغك محنة هذا الرجل العجوز لك – مهما ابتعدت عنه – وتمهيده الطريق لصعودك

الفصل الثاني

(في طريق بلدة (نيانسا) Nyanza) في الجنوب إلى مركز قيادة الضابط الفرنسي جوان كاريه Jon care عند غروب الرابع من ديسمبر سنة ثلاث وخمسين وصيانة بعد الالف للميلاد ، وثمة طلب وشنطن أن تأبى أن يتسيروا الخيام وأن يبقوا فيها عند الزوال والبيات مستصحباً معه فان برام وكرستوفر جست فقط في زيارته لضابط الفرنسي جوان كاريه . وقد تعمد أن لا يصطحب معه من رفاقه من الزنوج الا رجلين هما كنج . ويبدأ الفصل الثاني بمخاطبة وشنطن الزعيم الهندي) .

وشنطن (مخاطباً الزعيم الهندي هافكنج) — الآن وقد نصبت الخيام أرجو أن تستريح وتابعاك وكذلك أتباعي والخيل ريثما أتوجه مع زميلي جست وفان برام لمقابلة الضابط الفرنسي في مقره وقد أردت أن أعفيكم من تعصب الفرنسيين الذميم ومن وقاحتهم ، ولا فائدة على أي حال من ذهابنا جميعاً إليه .

هافكنج — كما تشاء يا سيد . . . لقد أديت واجبي في إرشادكم وكفى ، ولا أظن أني خذلتكم في أي شيء منذ تعاهدنا واتفقنا في لجزتاون ، ولا يزال أملي وأمل عشيرتي أن تجزونا وداً بود وثقة بثقة . . . وإذا كان الفرنسيون قد بلغت بهم البلاهة والتبجح درجة الادعاء بأننا نحن — أهل البلاد الأصليين — لا نملك من تربتها ولا ما يقع تحت ظفر انسان ، فرجاؤنا الحار أن يكون الانجليز أهل حكمة وإنصاف ، حتى لا يخيب أملنا في البيض جميعاً .

وشنطن — ثق يا هافكنج بأني لا يمكن أن أقر أي تعصب ضد طائفة أو دين أو فرد ، ولا يمكن أن أطمئن إلا إلى جو الحرية الشامل الذي يسوي في الحقوق والواجبات بين الجميع ويعطي كل ذي حق حقه .

هافكنج — هذا ما أرتقبه من دمائتك وانسانيتك . لقد قابلت بيضاً كثيرين ولم أر من شارعك في علو همتك وشجاعتك ، فان الأيام الطويلة التي أمضيناها في الطريق الوعر في جو مضطرب فظيع ، والمشقات الهائلة التي لاقيناها ، لم تزدك إلا صلابة وعزماً في حين تذمر تابعوك حتى المستر جست الخبير .

كرستوفر جست (مقاطعاً) — لا أنكر أني تعبت وتذمرت ، وما كنت أنتظر من الميجور وشنطن هذه الصلابة الخارقة . بل لقد بدأت الرحلة متخوفاً من درجة احتماله ، فاذا بالوضع ينقلب ، وإذا به مرشدي بدل أن أكون أنا دليله .

وشنطن ـ شكراً لكل هذا ، وما فرحي إلاّ بتضامن البعثة ، ولنحمد الله على أننا وصلنا بخير ، والآن فليذهب ثلاثتنا فان برام وأنت يا كرستوفر وأنا لنرى هذا الضابط الفرنسي ولأسلمه رسالة حاكمنا .

هانكنج ـ أحذركم من غدر هؤلاء الفرنسيين فقد سرقوا أراضينا وتبجحوا ، وهذه الدار التي يسكنها حاكمهم هي لتاجر انجليزي يدعى جون فريزر John Frazier طرده الفرنسيون منها بكل صفاقة واستولوا عليها وأسكنوا حاكمهم فيها مباهين !

وشنطن ـ سنكون على حذر ! ولتكونوا أنتم أيضاً على حذر فتواروا في الخيمة ولا تقلقوا إذا تأخر في العودة ، إذ ربما اضطررنا إلى بعض المفاوضة قبل النجاح في مهمتنا وهي إقناع الفرنسيين بالانسحاب من هذه الأراضي التي هي لنا ولكم . . . . ولا ريب أن هذا سيدعو الى كثير من الصبر وضبط النفس وحسن التحايل وإلى الترهيب بكياسة ، وكل هذا سيستوجب وقتاً منا ، فلا تقلقوا . . . . وأطن .

هانكنج ـ (مقاطعاً) ان نقلق ، فكونوا على حذر ، وليكن التوفيق نصيبكم !

وشنطن ـ إلى اللقاء إذن !

(أصوات : الى اللقاء)

وشنطن ـ هلم يا جاكوب .

فان برام ـ سامحني يا جورج فان قدميّ متعبتان .

وشنطن ـ متعبتان ؟ ! إن قدميّ يا صديقي وارمتان ، لا متعبتان فحسب ، ولو أحوجتني الضرورة لوجدت زحفاً لا بلغ هدفي ، وهو الآن ماثل أمامي على بعد ربع ساعة أو أقل ، فهلم بنا يا جاكوب فأنت بطل الساعة .

فان برام ـ (وجلاً) بطل الساعة ؟ . . . أتريد مني يا جورج أن أقوم بالمفاوضة .

وشنطن ـ كلاّ ، كلاّ يا جاكوب ، بل بالترجمة فقط ، هلمّ بنا (يبدأ الثلاثتهم بالسير)

(يسمع وقع اقدام خفيفة الحوار دليلا على سيرهم متجهين الى قصر الحاكم)

فان برام ـ إني ملبٍّ رغبتك فحسب ، ولكني لا أظن أنكما ستحتاجان إليّ ، والأفضل كرستوفر جست (مقاطعاً وقد عيل صبره) ـ إذن لماذا حضرت معنا يا رجل ؟

وشنطن (هاتياً) ـ خفف من حدتك يا كرستوفر .

فان برام ـ لما تطوعت للسفر كان تخيلي لهذه الرحلة خلاف ما رأيت .

كرستوفر جست ـ وما شأن تخيلك بأنه واجبك الآن . . . . فقد لا يلم أحدهم بالانجليزية فتحتاج إلى معرفتك بالفرنسية للترجمة ؟

فان برام ـ معرفتي للفرنسية ؟

كرستوفر جست ـ نعم ؟

فان برام ـ ومن قال إن معرفتي تنزل إلى مستوى هؤلاء ؟

وشنطن (مدهوشاً) ـ انى عاجز عن فهم ما تقول .

كرستوفر جست ـ سبحان الله ، ألعني يا جاكوب أنك « تترفع » عن الترجمة لنا الآن إذا ما احتجنا إلى ذلك ؟

فان برام ـ كلاَّ ، كلاَّ ، بل إن ما أعنيه أن لهجة هؤلاء الجنود هي غاية ركيكة بعيدة عن فهم مثلي .

كرستوفر جست ـ الله أكبر ، وهل كنت تظن أننا أحضرناك لزيارة السوربون ؟

وشنطن ـ ما هذا الكلام يا جاكوب ؟

فان برام ـ هؤلاء يرطنون بلغة ليست من الفرنسية الصحيحة في شيء ؟

وشنطن ـ كيف تقول ذلك وأنت لم تقابلهم بعد ؟

كرستوفر جست ـ لقد أخطأنا مرتين يا جورج ـ الأولى قبول سفره معنا ، والثانية عدم تركه في الخيمة مع الهنود ، ويا ليتهم يرتضون أكله ولو أن لحمه مرّ أكيداً .

فان برام ـ ها ، ها ، ها ، إكراماً لعيونك يا كرستوفر ، وإطاعة لأمر حبيبي جورج سأقوم بالترجمة المطلوبة .

وشنطن ـ انما الاطاعة يا جاكوب لتعهدك الذي يقترن به احترام نفسك .

كرستوفر جست ـ صدقني يا جورج إن السلامة ـ ولست مازحاً فيما أقول ـ هي في الابتعاد عن مرائق صاحبنا ، وخير لنا أن نتفاهم بالاشارة مع من لا يعرف لغتنا عن الركون إليه .

وشنطن ـ دعانا من هذا الحوار ، فقد لا أحتاج الى جاكوب في شيء من هذا القبيل وحسبي خدماته في أثناء الرحلة ، وها نحن قادمون على مفرق الضايط ، فيجب أن أبين لكما بعض الأمور لتكونا على حذر ، لتكلل رحلتنا بالتوفيق التام : ـ

فأولاً ـ يجب أن نسمما كثيراً وتتكلم قليلاً لأننا جئنا إلى هنا لنؤدي رسالة ، ولنجمع معلومات عن حالة خصمنا ، لا لنطلعه على شؤوننا وأسرارنا .

وثانياً ـ إذا عرض علينا الشراب ـ كما هي عادة الفرنسيين ـ فنجتنبه الافراط ، فالخمر تحل عقدة اللسان ولكنها تكبّل الانسان بالهذيان .

وثالثاً ـ علينا أن نحول دون التقاء أصحابنا الهنود بهذا الضابط الفرنسي الخلاسي ، فان الكابتن جوان كاريه Captain Joincare من أم هندية وأب فرنسي ، وهو يعرف لغة الهنود جيداً ، ومحبوب جداً بينهم ، لأنه بمثابة أحدهم ، فهو يشملهم بعطفه السابغ ويغدق عليهم الهدايا ، وهو موفق جداً في معاملاته معهم لأنه بارع الحيلة ، فاذا التقى بهم وتمكّن من التأثير عليهم فالويل لنا .

كرستوفر جست ـ اذن علينا ألاّ نذكر ولا كلمة واحدة عن وجود هؤلاء الهنود في صحبتنا .

وشنطن ـ اني لا أحب الكذب ، ولكني لا أحب الثرثرة أيضاً ، ومن الممكن أن نكون صادقاً دون أن نخبر سرك .

فان برام ـ الأفضل في رأيي أن نتخلص من هؤلاء الهنود ونرجعهم إلى عشيرتهم .

وشنطن ـ ما هذا الكلام يا جاكوب ونحن ما زلنا في حاجة إلى خدماتهم ، بل سنبقى في حاجة إليها ما دمنا نريد السلام والتقدم لقومنا ؟

كرستوفر جست ـ الحق أقول إن الواجب التخلص منك أنت .

وشنطن ـ كلي ، كلي ، فها قد وصلنا وها هو الحارس بالباب ، أنبئه أمرنا يا جاكوب .

فان برام ـ (مخاطباً الحارس) بنجور موسيه .

الحارس الفرنسي ـ بنجور موسيه .

فان برام ـ نحن انجليز ـ كيف صحتك ؟ ـ الجو بديع .

الحارس ـ حال ، حال ماذا تريد أن تقول يا صاحبي ؟

فان برام ـ كومان سافا ؟ ـ كومان فا لاسانتيه ؟ كومان تالي فو ؟

الحارس ـ ماذا بك يا رجل ؟

كرستوفر جست (معترضاً ، هاطبا وشنطن) ـ دعني يا جورج أتولى محادثته قبل

أن تضرب بالرصاص بفضل هذا الأبله .

فان برام (محتجاً) — أبله يا كرستو ؟ ! أهذا جزائي لاني أكلمه بجميع اللهجات ؟ أي منعاً للالتباس ؟ ، سبحان الله ، سبحان الله .

الحارس — (مخاطباً الجميع) ماذا تريدون ؟ إن الوقوف أو التلكؤ هنا ممنوع ، وكذلك إلهاء الديدبان عن واجباته .

وشنطن (متدخلاً) — عفواً يا سيدي ، إننا لمكدودون من السفر ، . . . نحن وفد من حاكم فرجينيا نحمل رسالة إلى حاكمكم ، فهل من الملائم مقابلته الآن ؟

الحارس — طبعاً ، طبعاً .

وشنطن — إني رئيس الوفد واسمي جورج وشنطن .

فان برام (مقاطعاً) الميجور جورج وشنطن .

وشنطن (متابعاً حديثه) — فهل تتكرم بإبلاغه عن حضوري وحضور زميلي السيد كرستوفر جست والسيد جاكوب فان برام ؟

الحارس — باذنك يا سيدي سأذهب لتبليغ جناب الكابتن .

(يدخل الحارس لتبليغ الكابتن جوان كاريه)

وشنطن — أملي ألاّ تنسيا النصيحة الثلاثية التي قدمتها لكما ، فعليها يترتب نجاحنا في هذه المقابلة .

كرستوفر جست — لك يا جورج أن تعتبر جاكوب قد نسيها تماماً ، وهأنذا أرى لعابه يسيل شوقاً إلى الخمر الفرنسية المعتقة .

فان برام — سنرى يا كرستو أيّنا سيكون أحرص على نصيحة جورج .

(يعود الحارس بعد ابلاغ الكابتن جوان كاريه)

الحارس — الكابتن في انتظاركم يا ميجور ، تفضلوا بالدخول .

وشنطن — شكراً .

(يدخلون)

جوان كاريه — أهلاً بكم يا سادة ،

وشنطن — إني جورج وشنطن ، وسركزي ميجور في حامية فرجينيا .

جوان كاريه ـ تشرّفت يا سيدي .

وشنطن ـ وهذان زميلي جاكوب فان برام وكرستوفر جست.

جوان كاريه ـ تشرّفت بلقائكما يا سيدي.

وشنطن وزميلاه ـ الحظ حظنا يا سيدي .

جوان كاريه ـ تفضلوا بالجلوس .

(يجلسون)

سمعت من حارسي يا ميجور وشنطن أنك تحمل رسالة من السيد روبرت دانوري حاكم فرجينيا ، فهل هي باسمي خاصة .

وشنطن ـ إنها يا سيدي الكابتن باسم ضابط الفرنسيين هذا خطب ، وهي تتعلق باعتراضنا على توغلكم في أراضينا .

جوان كاريه ـ تعني أنها بمثابة احتجاج .

وشنطن ـ إنها اعتراض ودي للغاية .

جوان كاريه ـ لا ريب ، لا ريب ، . . . . ولكن دعني أولاً أحصل على وعدك بأنك ورفيقيك ستتعشون معي الليلة ، ولحسن الحظ هناؤنا مبكر فلن أعطلكم .

وشنطن ـ هذا سرور وشرف لنا يا سيدي .

جوان كاريه ـ حسن ، تفضلوا إذن بتناول بعض المشهيات ،

(يملأ أقداح الشراب)

وشنطن ـ الشراب لا يلائم صحتي ، فلا تعطني إلاّ قليلاً ، واسمح لي أن أقدم إليك رسالة رئيسي (يقدم إليه الرسالة) . . . لا يا سيدي هذا مقدار كبير .

جوان كاريه ـ أنكر ويابل ، Incroyable ـ هذا أخو نبيذ عتّقه (لا سال) La Salle منذ ستين سنة حينما اكتشف النهر وهذه البقاع وأثبت حقنا الصريح فيها ؟

وشنطن — هذا الحق لنكره بتاتاً يا سيدي ! ولا سال هذا لم نسمع به من قبل . . .

جوان كاريه ـ ولكنك لا تستطيع أن تنكر حق نبيذنا الفاخر . ها . ها . ها في صحتكم يا سادة . ها . ها . ها . انه يا سيدي اعظم خمار (يقرعون الاقداح ويشربون) . لم تسمعوا بلا سال . في صحتكم .

وشنطن وزميلاه — في صحتك يا سيدي هذا يكفيني . اعفني من مزيد .

جوان كاريه ـ آنكرو يابل . إن الملائكة لا تزور الأرض الا لسرقة هذا النبيذ . ها . ها . ها . هذا ما يؤكده لي خادمي ميشيل تشيراً لضياع نصف القناني . ها . ها . ها .

فان برام ـ لا تحمل همّ يا سيدي ، فأشرب نصيب الميجور (تملأ الاقداح ويشرب الجميع الا وشنطن)

وشنطن ـ (مخاطباً فان برام) لا أظنك تستطيع احتمال هذا النبيذ القاهر

كرستوفر جست ـ سأساعده على احتماله بكل سرور .

وشنطن ـ (بصوت منخفض) حتى انت يا كرستوفر . لا تخيّب رجائي فيك .

كرستوفر جست ـ لن اخيّبه ، فطاقتي عظيمة يضرب بها المثل .

جوان كاريه (وقد بدأ يتمايل) ـ عفواً يا موسيه ـ ان نصيب الميجور هو ضعف نصيب كل منا . ها . ها . فهو ميجور بينما أنا كابتن فقط . ها . ها . ها . علّموا بأنداحكم . ها ها ها (تملأ الاقداح ويشرب الجميع إلا وشنطن)

وشنطن ـ هل تأذن يا سيدي بتلاوة الرسالة أولاً قبل ان تفضل بضيافتنا ؟

جوان كاريه ـ (ينظر في الرسالة ثم يخاطب الميجور وشنطن) الحق أقول لك يا ميجور إن عليك ان تأخذ هذه الرسالة الى رئيسي القائد سان بيير في قلعة (فورت لي بيف) وهي على مسير اربعة ايام اخرى .

وشنطن (ضجراً) ـ اربعة ايام اخرى !

فان برام (تملأ) ـ علّ بالبراندي يا سيدي الكابتن ليعلو ذهني اكثر !

كرستوفر جست ـ أربعة أيام أخرى بعد ان قطعنا اكثر من خمسمائة ميل في واحد وأربعين يوماً وفي اقطع جو عرفته الكرة الارضية المسكينة ؟ وفي شهر ديسمبر البكحيان ؟ علّ أنا ايضاً بالبراندي يا كابتن

جوان كاريه ـ يظهر انكما اعقل مني ولكن مهلاً لسوء التفاهم سأخلط البراندي والنبيذ بالتساوي كما كان يفعل آلهة الهنود . ها . ها . ها .

وشنطن ـ الا يمكن يا جناب الكابتن ان نعالج هذه المسألة معاً هنا دون الاضطرار الى التوجّه الى (فورت لي بيف) .

جوان كاريه ـ ياليت هذا بامكاني ياسيدي فأنتم قوم لطفاء ولكنه ليس من اختصاصي

فام برام (مقاطعاً) — ياليتنا نبقى هنا طويلا حتى نؤدي واجب الاحترام لبيذكم الموقر ها. ها. ها. ثم لأخاطب مع برميله العزيز بالفرنسية الاسولية العريقة ها. ها. ها.

جوان كاريه — إنه فعلا برميل ثرثار، لا يتقن فن طول الليل والنهار، ونحن جد سعداء بثرثرته ها. ها. ها.

وشنطن — لا اريد ان اجادلك يا كابتن في حقنا المقدّس بهذه الاراضي، وهو حق يعترف به الهنود انفسهم الذين ينظرون اليه نظر الأخ الى اخيه.

جوان كاريه ـ (مقاطعاً) ـ الهنود؟! إيه.

وشنطن ـ لا أريد أن أجادل في هـذه النقطة، ولكن ألا ترى من الحكمة يا كابتن ـ وفرجينيا لها من القوات الحربية مالها، فضلاً عن عدالة قضيتها ـ انسحاب جنودكم من هذه الاراضي، وتنبيه القائد سال بير إلى ذلك؟ . . . إنك لتخدمه بمثل هذه النصيحة الصريحة أجل خدمة. ثم إنه ليست لكم حصون تقوى.

جوان كاريه (مقاطعاً) ـ قوات فرجينيا الحربيـة . . . ها، ها، ها، ليست لنا حصون . . . ها، ها، ها، بعد العشاء يا ميجور سأحدثك طويلاً عن حصوننا وقوانا، لعلك أنت تستطيع إقناع الحـاكم دنودي بالتخلي من أحلامه الفارغة، فنحن معشر الفرنسيين ـ مصممون تصميماً على الاستيلاء على أراضي الأوهايو جميعها وسنحقق ذلك حتماً! وأما الهنود فليسوا غرباء عني.

فام برام (مقاطعاً) حقيقة الهنود الذين معنا ظرفاء، وقد جاءوا.

وشنطن (مقاطعاً فام برام، بصوت منخفض) ـ صه يا أبله، . . . كفى حماقة وضرراً.

جوان كاريه (مقاطعاً، مدهوشاً) ـ أمعكم هنود إذن؟

وشنطن (محرجاً) ثلاثة فقط كأدلة.

جوان كاريه (مدهوشاً) ـ لماذا لم تذكرهم لي، إذ كان يسرني الاحتفاء بهم أيضاً؟

وشنطن (محرجاً) ـ قدرت أنك لن ترضى في مقابلة أمثالهم.

جوان كاريه ـ بالعكس! ولذلك سأرسل ـ بازياك ـ في طلبهم!

وشنطن ـ صدّقني يا كابتن . . . إني الآن مهتم بسرعة قطع الاربعين أو الخمسين

سيلاً الباقية لبلوغ Fort Le Boeuf ، ولا بدَّ لنا من الرحيل فوراً ، دون ما حاجة إلى مجاملة أحد من أتباعي .

جوان كاريه — إني لا أتعمد مجاملة أحد . بل هو واجب عليَّ . ثم ها هو الجو الفظيع لن يسمح لكم بالرحيل مباشرة ، كما أني ملتزم أن أرسل حرساً معكم فلا تحمل هماً ، وازاء البرد الشديد والمطر الهطال المنذر بالوبال لا مفرَّ من بقائكم معنا هنا أياماً . . . فلتشرب نخب بقائكم معنا .

كرستوفر جست — هذا هو المعقول (يملأ الأقداح ويشرب الجميع ما عدا وشنطن)

فان برام — ولا ريب أن هافكنج لن يتضجر . لا ، لا ، بل سيرقص حتماً بتذوق هذا النبيذ الراقص ، سيرقص رقصاً هندياً فرنسياً انجليزياً معاً دفعة واحدة ، ها ، ها ، ها .

جوان كاريه (مدهوشاً) — هافكنج ، أهو معكم ؟ .

وشنطن (مخاطباً فان برام سراً) — خذلتنا خذلك الله .

(مخاطباً جوان كاريه) — نعم ، إنه معنا ، وهو مشتبك مع رجليه في خيمتهم

جوان كاريه (مدهوشاً) — عجيب والله ، أيوجد هافكنج هنا وأنا أجهل وجوده ، إن لديَّ هدايا تسره وتسر زميليه .

وشنطن (مخاطباً جست وبرام) — أرأيتما كيف فتحنا علينا حرباً باردة لم تكن (سراً) على البال .

جوان كاريه — لقد أسعدتموني بهذا الخبر يا ميجور .

(منادياً أحد الحراس) — هلمَّ يا حارس وادع أولئك الهنود الكرام من مخيم الميجور ، بعد إعدادهم أطيب تحياتي ، وإياك أن تسمح لحياتهم أو لتواضعهم بالحيلولة دون التئامنا بهم هنا ، هنا ، هنا .

الفصل الثالث

المنظر الأول

(يتألف الفصل الثالث من منظرين ، أما المنظر الأول هذا ففي مقر الحاكم الفرنسي ليجاردير دي سان بيير في فورت في يفتتح في الرابع عشر من ديسمبر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعد الألف وقد

حضر كل من وشنطن وفان برام وجست لغاية الحاكم مرة اخرى بعد وصولهم عند برمين . وبينما هم في انتظار دعوتهم للقائه كان وشنطن يتحدث الى زميله .

وشنطن — لا أريد يا جاكوب أن يتكرر هنا ما جرى في فينانجو Vennango من مهازل كادت تقضي علينا بالفشل

فان برام — أؤكد لك يا جورج أني لم أكن في وعيي .

وشنطن لا حاجة بي إلى هذا التأكيد .

كرستوفر جست — إني معترف بذلتي أيضاً ، وقد استغفرتكم من قبل .

وشنطن — ليست المسألة مسألة اقرار واستغفار ، بل هي مسألة حذر واعتبار أخطاء الماضي ، فالانتفاع بها الآن يعوضنا عما سلف ويدسينا اياه

كرستوفر جست — اني غير مطمئن الى هذا القائد الاسود .

فان برام — ولا أنا فهو يتهارب من الاتصال بنا تهارب الجراد النشاط نحن يقترب منه

وشنطن — ان جميع الاساليب التي اتخذها الفرنسيون في فينانجو أولاً للوقوف على أسرارنا . وثانياً لدق اسفين بيننا وبين حلفائنا الهنود مستعينين بالوعود البراقة الخلابة وبالهدايا والخمر ، هي كلها الأطفال بالنسبة لما انتظره هنا من دسائس ومؤامرات لبلوغ الهدفين ذاتهما ، لحذار حذار إن حضور أربعة من الفرنسيين معنا كحرس صوري لم يكن عبثاً ولا لأجل حمايتنا طبعاً ، ولا ريب عندي في كنه الرسالة التي يحملها الضابط الفرنسي لافورس ضد مصلحتنا ، فاذا لم نبق يقظين ضعنا حتماً أو عدنا مدحورين مجرّدين ذيل الطيلسة .

فان برام وكرستوفر جست — كن مطمئنا يا جورج

وشنطن — إن أهم امر هو حمل هانكنج على قطع علاقته بالفرنسيين ، ثم هو دتنا سريعاً الى وليزمرج Williamsburg بردسان بيير — اذا أمكننا الحصول عليه — وها في ذاكرتنا من الملاحظات الخطيرة على الاستحكامات والذخائر وقوارب النقل العديدة والاستعدادات العظيمة للزحف على بقية الاوهايو Ohio وانتزاع اراضيه منا اني لا استطيع أن أفرّط ولا في يوم واحد ، فالفرنسيون متأهبون للهجوم عاجل ، ولا يؤخرهم عنه سوى حالة الجو السيئة وارتفاعهم الفرسة المرتفعة .

كرستوفر جست — لا ريب في كل هذا ، وفي الصباح الذي ينتظرنا في مقاومة دهاء

خصومنا المتعدّد الجوانب .

وشنطن — سيعملون على عرقلة سفرنا ، وسيعملون على التفرقة بيننا وبين هانكنج ، وسيعملون على التفرقة بين الهنود أنفسهم تمهيداً لتدميرهم فيما بعد تحت جناحهم . والسهم الوحيد المهمّ الذي في يدينا هو ما احرزناه من معلومات عن استعدادات خصومنا ، ولن يكون نفعاً الا اذا نقلنا هذه المعلومات سريعاً الى قومنا ، فعلينا أن نصفي موقفنا اليوم ، ثم نبدأ بالصرخة ومعنا الهنود .

فان برام — اني مستعد لاية ترجة من جميع التوجات ولن اشرب الا نخبك ونخب جنرالنا في وليزبرج اقسم على ذلك يا جورج . . اقسم (يسمع وقع اقدام مقتربة)

وشنطن — صه . فاني اسمع وقع اقدام (يدخل احد الحراس)

الحارس تفضلوا أيها السادة بمصاحبتي ، فالجاكم بانتظاركم !

وشنطن — شكراً !

(يصعدون الى قاعة الاستقبال)

سان بيير — أهلاً بكم يا سادتي ! لعلكم تعتم بالراحة ليلة أمس ! تفضلوا بالجلوس .

وشنطن — شكراً يا سيدي ، لقد استرحنا فعلاً . ويودنا أن تتفضل اليوم بجوابك عن رسالة حاكم فرجينيا ، لأن حالة الجو وأحوالنا عامة لا تسمح بزيادة الانتظار .

سان بيير — هيهات أن أرتضي تعطيلكم يا ميجور . ولكنه لم يمض عليّ هنا قبل حلولكم سوى أسبوع خلفاً لسلفي المرحوم الجنرال ماران Marin ، وعلى هذا فاني ما زلت في حكم الغريب عن المنطقة ، ومن رأيي أنه لا بدّ لك من التوجه إلى كويبك Quebec لمقابلة حاكم كندا .

وشنطن — لا أشك يا سيدي في أن حكمتك كافية لحل هذه المسألة ، وخصوصاً لأن الأوامر التي تنفيذها تنص على تسليم هذه الرسالة إلى القائد الفرنسي لدى الحدود ، وليس بيدي من السلطة ما يبيح لي تجاوز حدود المنطقة التي تحتلونها أو تسليم هذه الرسالة إلى أحد آخر .

سان بيير — لا أدّعي لنفسي مثل ما لكم من الأهمية يا ميجور ، وما زلت أعتقد أن المركز دوجزنيه حاكم كندا هو المختص بذلك وما يقضي به سيكون قانوناً لي .

المنظر الثاني

(في طريق العودة الى نيم وشنطن وجانته أصيل اليوم نفسه بعد أن تنحى وصاحباه مع حاكم المقاطعة لجاردير سان بيير)

كرستوفر جست (مخاطباً وشنطن) هذه مفاجأة مهنئاً يا جورج حسن تصرفك فيها فان برام — ما زلت مشدوهاً لا أصدق كيف انقلب الوضع رأساً على عقب هكذا

وشنطن — ليس على وما وقعت ، ودع ذلك فالفضل في ذلك راجع إليكما .

كرستوفر جست وفان برام (متعجبين) — إلينا نحن ؟ .

وشنطن — نعم ، نعم ، فانكما تحاشيتما الاشراف في الشراب فلم يستطع ذلك الخبيث أن يبلغ أسرارنا . . . . أتعلم يا جاكوب أني في طفولتي كتبت في كراستي قواعد للسلوك ما زلت محافظاً عليها حتى اليوم : منها أن لا أتطوع بالنصيحة لمن لا يسألني إياها ، ومنها أن لا أقبل عملاً لا اقدر عليه ومنها المحافظة على وعدي ومنها ان لا اخلط الهزل بالجد أبداً ولو تبسطت وتلطفت . . . نعم ما زلت أحاسب نفسي بهذه المقاييس دون أن أندم مرة ، وأرتقب من زملائي مثل ذلك ، وهكذا تكون وحدة منسجمة موفقة . فاستجابتكما الطيبة إليّ مكنتني من تبديل موقف سان بيير نوعاً .

فان برام — شكراً يا جورج على رضائك . وعهدي أنك نجحت نجاحاً باهراً .

كرستوفر جست — لا ريب .

وشنطن — كل ما حدث أني أقنعته بقبول الرسالة وبالرد عليها ، وكأنه ما رد عليها ، إذ غاية ما ضمنه في ثنايا تحياته ومجاملاته الطويلة العريضة انه وعد بتودي بتحويل رسالته الى المركز دو جزنيه Marquis Duquesne حاكم كندا ، وكرر له الأعذار التي عرفني بها . . . وإذن لم نغنم من هذه الناحية شيئاً ، وإنما غنمنا سيكون بتمكننا من السفر فوراً ، كما ذكرت لكم قبلاً ، بعد أن تحقق قطع العلاقة بين الهنود والفرنسيين فنأمن من شر بقائها .

كرستوفر جست — هذا ما وعد به هانكنج ، وهو مصمم على رد « نطاق المودة » الذي يرمز الى صداقة الفرنسيين الى سان بيير ، ولكن سان بيير يتهارب من مقابلة هانكنج .

فان برام — انى هافكنج مصمّم على رد ه النطان ، طناً ان الحاكم في اجتماع هام حتى تكون لقطع العلاقات صفة رسمية .

وشنطن — أما وقد عزمتما قاربين من سان بيير فخطتي هي ما يأتي : —

أولاً — حمل هافكنج على مقابلة سان بيير الليلة في اجتماع عام حتى يقطع فيه صلات الصداقة مع الفرنسيين ، فنستطيع أن نسافر غداً مبكرين ان لم نسافر الليلة .

ثانياً — أن أطلب إلى ثلاثة من رجالنا أن يسرجوا الخيل دون أحال إلى (فيانجو) فوراً . فاذا عاشت هذه الحيوانات المشوكة القوى واستطاعت تحمل مشقة السفر ووجد رجالنا أن النهر تجمد إلى درجة تسمح بحمل ثقلها ومرورها عليه فسيكون بوسعهم الوصول إلى (فيانجو) وانتظارنا هناك ريثما نصل بالطريق البري ، وسنكون نحن في قارب ونضع الخنود في القارب الآخر . أما اذا وجدوا تجمد النهر غير كاف لتحقيق ذلك فيمكنهم أن يستمروا في سيرهم حتى يبلغوا نهر (الاوهايو) وثمة ينتظروننا وصولنا .

ثالثاً — إلى جانب كسبنا يوماً على الاقل لهذه الخطة — إذا ما وفقنا إلى تحقيقها — يهمنا أن نبادر على إقصاء الخنود عن شراك الفرنسيين التي أحكموا نصبها ، وأن نخلّصهم منها في غير توان ، فالخطر عظيم .

فان برام — يلوح لي أنهم أشوق منا إلى ذلك .

وشنطن — سنرى .

الفصل الرابع

المنظر الاول

ويبدأ الفصل الرابع من منظرين : فأما المنظر الاول هذا فيقع مرة أخرى في (فيانجو) في طريق العودة من (فورت لي بيف — الى ولجيورج في اليوم الثالث والعشرين من ديسمبر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعد الالف ، وهو اليوم الذي يلي الذي وصفنا فيه وشنطن وجماعته المبيض ، تاركين الخنود فيها ، ووجوههم أولا بجهة مرذرنج . ويبدأ المنظر بحوار هام بين وشنطن وفان برام وجست قبيل رحيلهم .

فان برام — سأتبع تعليماتك المكتوبة يا جورج ، ولن يظفر بها أحد مهما يساوهي بالروم والبراندي ، وسأعني بالحقائب والأمتعة حرصي على ما تركته من مال بيدي ، فلا تخف ولا تقلق ، إلا إذا تخرّقت من نفسك .

وشنطن — لا تثق بأحد يا جاكوب ، ولا تنس أننا نؤدي مهمة لقومنا ولاستقلاله لا لأنفسنا بالذات فحسب .

كرستوفر جست — لا مازحاً ! لا ريب أن المخاطر والمشاق الهائلة التي يجوبانها قد أبلغت جاكوب سن الرشد .

فان برام — بل أبلغتني الشيخوخة ، وكادت تلهني القبر ! . . . وإني لآسف لخيبة فراستي في هافكنج ، وفي الهنود الذين كان يفاوضهم ، وكنت أتمنى لو عاد معك .

وشنطن — لقد خانت الأمريين في إحراجهم معنا من (فورت لي بيف) ازاء مؤامرات الفرنسيين الصيقة التي تسندها الهدايا والخمر والمكافآت بل والأسلحة أيضاً . وهأنذا أواجه المشكلة ذاتها هنا ، ولو أن أمر جوان كاريه جد هين بالنسبة لرئيسه سان بيير الذي فجعك من هافكنج فاستقبله في مجلس خاص تلك الليلة ، وعطله وعطلنا حتى صباح اليوم التالي ، بل كان يريد أن يستبقيه ومن معه ، مرغماً إياهم بهدايا من البنادق ينتظرها ، كما أنه رفض فعلم الصلة بالهنود ، وكاد يضيع علينا سفرنا لولا أني واجهته في صراحة مواجهة المتهم بتعطيل مهمتنا إذا لم ينجز مهمة مع الهنود فوراً .

كرستوفر جست — ولماذا ننسى الاعيب الهنود في الطريق واختفاءهم بقاربهم حيناً ثم ظهورهم ، ثم اختفاء أحدهم وتعطيلنا حتى يعود ، فضلاً عن عناء المطر أو الثلج المتواصل هطوله تقريباً ، وعناء السير بالقوارب في مياه غير مأمونة الدوبان والتجمد ، واضطرارنا إلى حمل القوارب برّاً أحياناً ، وفضلاً عن ذلك . . .

وشنطن — المهم الآن أن نودّع جاكوب ونستأنف رحلتنا فالمركز حرج ، ولو أني واثق من أن دنودي غير نائم ، ولا بد أنه بدأ بالحصن الجديد في الموقع الذي اخترته له دون انتظار عودتنا .

كرستوفر جست — ولعله تذكر أننا لن نعود ، فخاطر الطريق أكثر من أن تستقصى ، اني أكتب يومياتي يا جورج كما تفعل ولن يعوقني ذكر كل هذا ، فاننا بالفعل نفتح صفحة جديدة من التاريخ لقومنا تحت قيادتك .

وشنطن — إذن وداعاً يا جاكوب ، والى اللقاء .

كرستوفر جست — إلى اللقاء يا جاكوب .

فان برام — إلى اللقاء يا صديقي .

(يركبان جواديهما ويسيران كما يركب معهما بقية الاتباع البيض)

وشنطن ـ أتعلم يا كرستوفر لما تركت هافكنج خلفنا

كرستوفر جست — لأنه ميؤوس منه .

وشنطن — بل لأن مستقبل الأوهايو كله ومستقبل قومنا يثبّت على اسراعنا بكل ما في وسعنا من حيلة وقوة في حين أن كل ما يترتب على هافكنج الآن صداقة ست قبائل هندية ، وقد حذّرته جهدي من جوان فريه فأجابني عن ذلك بأنه صديقي الحميم ، وأنه يحترمني ويحبني ، وانه يؤمن لي بمستقبل باهر ، كما انه تفضل وأطلق عليّ لقب « فاتح المدينة » وهو اللقب الذي اطلقه الهنود من قبل على جدي الأول ، وهكذا ترى انه تعلم المجاملات الفارغة التي يتقنها الفرنسيون حقاً !

كرستوفر جست — ليست هذه مجاملات يا جورج ، فان هذا الهندي يفيض قلبه على لسانه وأنا أيضاً أومن بأن نجمك في صعود .

وشنطن ـ (منادياً اتباعه) تقدموا يا رجال . (يتوقف ويتوقف الجميع ويسمع سهيل الخيل)

كرستوفر جست (دهشا) ـ ماذا جرى ؟

وشنطن ـ الا ترى ماذا جرى ان الخيل منهوكة القوى ولا يمكنها ان تسير بنا . انها ضعيفة وجوعانة ايضاً ، ولا بد ان نتوقف هنا ونريحها ولو اننا ما كدنا نبرح فينانجو لم يبق على عيد الميلاد غير يوم واحد ، ومع ذلك فلا تقل لي من اصدار امري غداً بأن يترحل الجميع رفقاً بهذه الحيوانات ما عدا السائقين ، وان توزع الأحمال عليها . وسنقضي عيد الميلاد سيراً على اقدامنا . هذا هو الخلاص الوحيد لنا لاداء رسالتنا كيفما كان تقلب الجو وكيفما كانت المخاطر والعقبات .

كرستوفر جست (دهشاً) لا ريب انك جندي باسل ، ومسّاح ماهر ، ومزارع قادر ولكن رأيك هذا لا اعرف اين اضعه بين هذه الصفات ، فانك تطالب بعمل المعجزات

وشنطن (في حزم) ـ ليس هذا رأياً يا كرستوفر ، بل هو امر وقرار .

المنظر الثاني

(في مقر الملكة الهندية اليكويا حيث توجه وشنطن لزيارتها بمفرده في نهاية شهر دسمبر من العام السالف الذكر ، بينما كان اتباعه يستبدلون الخيول بأخرى اصح جلدين في البحث عنها ، ولقد اتخذت الملكة الهندية مقرها في الموقع الذي قامت عليه الآن مدينة ماكينزيورت) في جلستها ، وبدأ الحفل بتحية الملكة بنفخها ودخانه على تحاشيه زيارتها من قبل في طريقه فعاداً الى تدخينه . ض)

الملكة اليكوبيا — إني لسعيدة جداً يا سيدي الميجور بحضورك خصيصاً لزيارتي وانى عتبت عليك لنسيانك اياي قبلاً في طريقك الى فورت لي بيف ، ولكن دعايتك تجعلني اغفر لك تلك الهفوة . كما تغفرها لك هديتاك النفيستان وخصوصاً زجاجة الروم »

وشنطن — لم انسك يا سيدتي . . ثقي من ذلك . . وانما حسبت اني سأملك وقتاً اطول في الدودة للتشرف بلقائك ، كما انى أودت ان اسابق الزمن — قبل ان يسوء الجو في التوجه الى القيادة الفرنسية . ولكن الحظ عاندني كما ترين ، وقد تعطلت كثيراً ولا بد لي من الاسراع بالرجوع الى ولجزبورج بالرد على رسالة رئيسي .

الملكة اليكوبيا — ولكن لماذا لم تحضر رجالك معك ، فقد كانت تسرني مقابلتهم ؟

وشنطن — انهم يا سيدتي على بعد ثلاثة أميال من هنا يستريحون من خيول قوية بدل خيولنا الهزيلة حتى تتم رحلتنا في سلام

الملكة اليكوبيا — (دهشة) اقدمت الي مترجلاً إذن؟

وشنطن — نعم يا سيدتي . بل جئنا مترجلين طول رحلتنا تقريباً بمصارحة فيناقبوا

الملكة اليكوبيا — ماذا تقول يا ميجور؟ انها لمجازفة خطيرة . وانه لحظ نادر انكم لم تصابوا بأذى !

وشنطن — لقد تعرضنا لقسوة الطبيعة وغدرها مراراً ، كما تعرضنا لكمين ، وتعرضنا لغدر الدليل بنا وانلاقه الرصاص علينا ، ومحاولتنا للهرب ليلاً وسط ركام الثلوج ، وذقنا آلام العقيم الذي جمد اقدامنا وأصابعنا ، وواجهنا الموت عياناً غير مرة ، ولكن كل هذا لم نعتبره شيئاً مذكوراً بجانب مواجهة الفشل !

الملكة اليكوبيا — انعم يا بني . . هذه ليست كلمات ميجور ولا رسول . . بل كلمات زعيم لأمة حتى ولو كنت افتحمت هذه المخاطر تناسياً لمآب فاشل !

وشنطن — شكراً يا سيدتي . (يسمع صهيل خيل) اظن رجالي قد اتوا !

[النهاية]